عدو من صنع أيدينا:
خرافة اندماج القاعدة وطالبان في أفغانستان

أليكس ستريك فان لينسكوتن وفليكس كويهن

الناشر: مطبعة جامعة أكسفورد، يوليو 2012، 560 صفحة، الترقم الدولي:

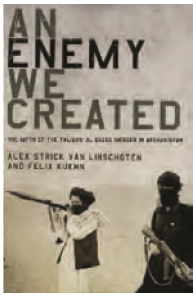

يسلط هذا الكتاب الضوء على ما اعتبره مؤلفاه أنه "أكذوبة" حاكها بعض الساسة الأمريكيين من أجل ربط تنظيم القاعدة بحركة طالبان الأفغانية، حيث خاضت الولايات المتحدة حربًا هناك لاحتلال ذلك البلد المسلم، بعد تعرضها لهجمات الحادي عشر من سبتمبر، والتي نفذها تنظيم القاعدة. ويقول المؤلفان أن وسائل الإعلام الأمريكية نسجت آنذاك رابطًا بين تنظيم القاعدة وحركة طالبان، وأبرزت للرأي العام أن أيديولوجيتهما وأهدافهما متداخلتان بشكل كبير، وأنهما معًا يحملان الفكر ذاته تجاه الغرب. وفي ذلك الكتاب يفكك المؤلفان ما يرونه "خرافة" ذلك الخلط ويقولان أن الحقيقة أكثر تعقيدًا وأنها مختفية تحت ركام من الخلط الإعلامي، واعتمد الكاتبان على خبرتيهما العملية السابقة في أفغانستان، وإتقانهما لكل من العربية والدارية والبشتونية. ويقول المؤلفان أن ورطة الغرب في أفغانستان اليوم ترجع إلى ذلك الافتراض الخاطئ بأن هزيمة القاعدة تبدأ من هزيمة طالبان، تلك الجماعة الدينية التي ترتبط بصورة جذرية ببيئتها وقبائلها وجذورها الثقافية والإثنية، أكثر من انتمائها لفكر تنظيم القاعدة، وهو ما أدى بعد ذلك إلى تعقيد المشكلة الأفغانية واختلاط عمليات الثأر القبلية بالحماسة الدينية وتغليفها في إطار ما اعتبر أنه حرب صليبية على أفغانستان. وقد استطاع المؤلفان أن ينخرطا بصورة كاملة في المجتمع الأفغاني في قندهار، وقاما بمحاورة صناع القرار في طالبان، بالإضافة إلى القادة الميدانيين ومقاتلين عاديين.

وقد أوضح المؤلفان في هذا الكتاب طبيعة العلاقة المعقدة بين طالبان وتنظيم القاعدة، وسلطا الضوء على بنية التنظيمين والأفراد الذين يشكلون كلا الجماعتين، وقالا أنه في منتصف التسعينيات نأت حركة طالبان بنفسها عن القاعدة وظهر التباعد وليس التقارب، وهذا الافتراق أعطى فرصة لحركة طالبان بأن تتمكن من تحقيق نقطتين هامتين: الأولى هو القدرة على إدانة القاعدة بكل حرية، والأخرى ضمان أن أفغانستان لن تصبح مأوى للإرهاب العالمي، ولكن ما حدث هو أن حركات التمرد بعد الاحتلال الغربي لأفغانستان تغيرت بنيتها وأصبح الوقت متأخرًا للغاية لإيجاد حلول سياسية لتلك المشكلة، ويخلص المؤلفان إلى أن هناك جوانب بعينها في الحملة الغربية على البلاد أدت إلى نتائج عكسية، مثل الغرات الليلية على منازل السكان المحليين وقتل المدنيين الأبرياء، ومحاولة بث الفرقة والشرذمة داخل حركة طالبان واستهداف قادتها، لأن ذلك أدى إلى نشاط المقاومة الأفغانية وخلق مزيدًا من الفرص للقاعدة مما ساعدها على تحقيق أهدافها، على عكس مقصود الهجمة الغربية على أفغانستان. ويقول المؤلفان أن تنظيم القاعدة استطاع أن يخلط أهدافه بالجهاد العالمي ضد اليهود النصارى مع الأهداف الجديدة للسكان

المحليين، والتي أصبحت بعد الغزو الغربي هو دحر ذلك التحالف وإخراج الغزاة من بلادهم.

ويرى النقاد أن هذا الكتاب يعد الأول من نوعه الذي فرق بين الحقائق والأوهام فيما يتعلق بالعلاقة ما بين القاعدة وطالبان، ويعد أساسيًا لكل المهتمين بفهم ما يحدث على أرض الواقع في أفغانستان التي خاضت فيها الولايات المتحدة حربًا من أطول حروبها الخارجية في تاريخها، والمؤلفان هما أليكس ستريك فان لينسكوتن و فليكس كوهين باحثان وكاتبان، وقد عملا في أفغانستان منذ العام 2006 وركزا على حركة طالبان وتاريخ جنوب أفغانستان على مدار الأربعة عقود الماضية. وقد اشتركا أيضًا في تأليف كتاب "حياتي مع طالبان"، والذي يعد توثيقًا لذكرياتهما مع الحركة في أفغانستان.